المفارقة الشعرية – دراسة في نصوص نسوية

The Poetic Paradox - A Study in Feminist Texts

م.م جنان أحمد زيدان خلف

Janan Ahmed Zeidan Khalaf

قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

Department of Arabic Language / College of Education for Human Sciences / University of Diyala

E-mail: ajenan630@gmail.com

الكلمات المفتاحية: المفارقة النقدية، النصوص النسوية، التحليل الأدبي.

Keywords: monetary paradox, feminist texts, literary, analysis.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة توظيف المفارقة في النصوص النسوية من خلال تحليل نماذج شعرية مختارة، مع التركيز على الكشف عن أبعادها الدلالية والجمالية داخل النص. ويعتمد البحث على مقاربة تحليلية تقوم على تتبع حضور المفارقة في بنيتها المختلفة، مثل المفارقة التوضيحية، والتناقضية، والساخرة، والرمزية، بوصفها أدوات فنية تسهم في التعبير عن التجربة النسوية. يركّز البحث بصورة أساسية على تحليل النصوص، وإبراز كيفية اشتغال المفارقة داخلها، من خلال الكشف عن التوتر بين المعنى الظاهري والمعنى الضمني، وما ينتج عنه من دلالات نقدية تعكس واقع المرأة وتناقضاته. كما يسعى إلى بيان دور المفارقة في تفكيك الخطاب الاجتماعي والثقافي، وإعادة صياغته بطريقة فنية غير مباشرة. وتوصل البحث إلى أن المفارقة تمثل أداة فعّالة في تعميق البنية الدلالية للنص النسوي، وتعزيز طاقته التعبيرية، من خلال إتاحة المجال لتعدد التأويلات، وإشراك القارئ في إنتاج المعنى، بما ينسجم مع طبيعة الخطاب الأدبي المعاصر.

Abstract

This research aims to study the use of paradox in feminist texts through the analysis of selected poetic models, focusing on revealing its semantic and aesthetic dimensions within the text. The research adopts an analytical approach that traces the presence of paradox in its various structures, such as explanatory, contradictory, ironic, and symbolic paradox, as artistic tools that contribute to expressing the feminist experience. The research focuses primarily on analyzing the texts and highlighting how paradox functions within them by revealing the tension between the apparent and implied meanings, and the resulting critical implications that reflect the reality of women and its contradictions. It also seeks to demonstrate the role of paradox in deconstructing social and cultural discourse and reformulating it in an indirect, artistic way. The research concludes that paradox represents an effective tool in deepening the semantic structure of the feminist text and enhancing its expressive power by allowing for multiple interpretations and engaging the reader in the production of meaning, in accordance with the nature of contemporary literary discourse.

المقدمة

تُعدّ المفارقة النقدية من أبرز الأدوات الأسلوبية التي شغلت حيزًا مهمًا في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة، لما تمتلكه من قدرة على الكشف عن التناقضات الكامنة في النصوص، وإبراز الأبعاد الخفية التي لا تظهر في القراءة السطحية. فهي ليست مجرد تقنية بلاغية قائمة على التضاد أو المفاجأة، بل تمثل آلية فكرية عميقة تُستخدم لتحليل الخطاب، وتفكيك بنيته، والكشف عن التوتر بين المعنى الظاهري والمعنى الضمني. وقد اكتسبت المفارقة أهمية خاصة في ظل تطور المناهج النقدية الحديثة التي تسعى إلى تجاوز حدود المعنى المباشر، والبحث في طبقات الدلالة المتعددة داخل النص الأدبي, وبرزت النصوص النسوية بوصفها مجالًا خصبًا لتوظيف المفارقة النقدية، حيث تعتمد الكاتبات على هذه التقنية للتعبير عن قضايا المرأة بطريقة غير مباشرة، تجمع بين الإيحاء والنقد. فالأدب النسوي لا يقتصر على عرض معاناة المرأة، بل يسعى إلى تفكيك الخطابات الاجتماعية والثقافية التي تُكرّس هذه المعاناة، وذلك من خلال أساليب فنية متعددة، من أبرزها المفارقة، التي تكشف عن التناقض بين الخطاب الظاهري الذي يدّعي تمكين المرأة، والواقع الذي يفرض عليها قيودًا متعددة. وتتجلى أهمية المفارقة في النصوص النسوية في قدرتها على التعبير عن التجربة النسوية بوصفها تجربة قائمة على التناقض والصراع، سواء كان ذلك على مستوى الهوية، أو العلاقات الاجتماعية، أو الأدوار المفروضة. فهي تتيح للكاتبة أن تعبّر عن هذه التناقضات بطريقة غير مباشرة، تتجاوز حدود التصريح، وتفتح المجال أمام القارئ للتأمل والتأويل. شهد النقد الأدبي في العقود الأخيرة تطورًا ملحوظًا، حيث انتقل من التركيز على الجوانب الشكلية للنص إلى الاهتمام بالبنية الدلالية، والسياقات الثقافية والاجتماعية التي يُنتج فيها النص. وفي هذا السياق، أصبحت المفارقة النقدية أداة مركزية في تحليل النصوص، لما توفره من إمكانية للكشف عن التناقضات الكامنة في الخطاب. كما برز الأدب النسوي بوصفه تيارًا نقديًا وأدبيًا يسعى إلى إعادة قراءة الواقع من منظور المرأة، وتسليط الضوء على القضايا التي تمس حياتها، مثل التمييز، والهوية، والحرية. وقد اعتمد هذا الأدب على تقنيات فنية متعددة، من أبرزها المفارقة، التي تُستخدم للكشف عن التناقض بين ما يُقال عن المرأة، وما تعيشه في الواقع, وتأتي هذه الدراسة في إطار الربط بين المفارقة النقدية والنصوص النسوية، من خلال تحليل كيفية توظيف هذه التقنية في التعبير عن القضايا النسوية، والكشف عن أبعادها الدلالية والجمالية. فهي تسعى إلى تقديم قراءة تحليلية تُبرز دور المفارقة في بناء النص، وفي توجيه القارئ نحو فهم أعمق للتجربة النسوية.

أولا: المفارقة التوضيحية

يمكن تعريف المفارقة التوضيحية بأنها أسلوب تعبيري يقوم على عرض فكرة أو موقف بطريقة تبدو في ظاهرها إيجابية أو محايدة، لكنها تحمل في باطنها نقدًا ضمنيًا يكشف خللًا أو تناقضًا

في الواقع الاجتماعي أو الثقافي، مع وجود دلائل واضحة تسهّل على القارئ إدراك هذا التناقض. (أبو بكر، 2019: 45)

وفي إطار الأدب النسوي، تكتسب المفارقة التوضيحية أهمية خاصة، لأنها تتيح للكاتبة التعبير عن القضايا المرتبطة بالمرأة، مثل التمييز والقيود الاجتماعية، بطريقة تجمع بين الوضوح والأسلوب الفني، دون اللجوء إلى التصريح المباشر أو الخطاب الخطابي. (أبو النجا، 2019: 78)

"قالوا لها إنكِ ملكةُ البيت،
فجلستْ على عرشٍ من التعب،
تديرُ مملكةً لا يعترف بها أحد".

يمثل هذا النص نموذجًا دالًا على توظيف المفارقة التوضيحية في الخطاب النسوي، إذ يقوم على بناء دلالي مزدوج يجمع بين صورة ظاهرية إيجابية، وأخرى ضمنية نقدية تكشف واقعًا مغايرًا. ويعتمد النص على مفردات ذات حمولة رمزية قوية، مثل "ملكة" و"عرش" و"مملكة"، وهي ألفاظ ترتبط في الوعي الجمعي بالسلطة والقوة والمكانة الرفيعة، غير أن هذا البناء الرمزي يتقاطع مع دلالة مغايرة تمامًا تتمثل في "التعب" و"عدم الاعتراف"، وهو ما يخلق حالة من التوتر الدلالي الذي يُشكّل جوهر المفارقة.

فعلى المستوى الظاهري، يُقدَّم دور المرأة داخل المنزل بوصفه دورًا متميزًا، من خلال إطلاق وصف "ملكة البيت"، وهو تعبير شائع في الخطاب الاجتماعي، يُستخدم للإشادة بمكانة المرأة داخل الأسرة. إلا أن هذا الوصف، رغم إيجابيته الظاهرية، يحمل في سياقه دلالة نقدية، لأنه يُخفي وراءه واقعًا من الأعباء والمسؤوليات غير المعترف بها. (أحمد، 2021: 112)

وتتجلى المفارقة بوضوح في الانتقال من عبارة "ملكة البيت" إلى "عرش من التعب"، حيث يتم قلب الدلالة من الإيجابية إلى السلبية. فالعرش، الذي يُفترض أن يكون رمزًا للراحة والسيطرة، يتحول هنا إلى رمز للمعاناة والإرهاق. وهذا التحول الدلالي يُبرز التناقض بين الصورة المثالية التي يُروّج لها المجتمع، والواقع الفعلي الذي تعيشه المرأة. كما أن عبارة "مملكة لا يعترف بها أحد" تُعمّق من هذا التناقض، إذ تشير إلى أن الجهد الذي تبذله المرأة داخل المنزل لا يحظى بالتقدير أو الاعتراف، رغم أهميته. وهنا تتجلى الوظيفة النقدية للمفارقة، حيث يتم الكشف عن خلل في المنظومة الاجتماعية التي تُمجّد دور المرأة نظريًا، لكنها لا تُنصفها عمليًا. ويمكن تحليل المفارقة في هذا النص من خلال مستويين الأول المستوى الظاهري الذي يمثل تمجيد دور المرأة وتقديمها بوصفها "ملكة" والإيحاء بالقوة والمكانة والمستوى الضمني الذي يمثل كشف المعاناة والتعب وغياب التقدير الاجتماعي ونقد الخطاب السائد

ومن خلال هذا التداخل بين المستويين، تتحقق المفارقة التوضيحية، حيث لا يُترك القارئ في حالة غموض، بل يتم توجيهه نحو إدراك التناقض بشكل واضح نسبيًا. كما يمكن ملاحظة أن النص يعتمد على تقنية "المقابلة الدلالية"، حيث يتم وضع مفردات ذات دلالات إيجابية في مواجهة مفردات ذات دلالات سلبية، مما يُسهم في إبراز المفارقة. فالتقابل بين "ملكة" و"التعب"، وبين "العرش" و"عدم الاعتراف"، يُشكّل بنية دلالية قائمة على التضاد، تُستخدم للكشف عن التناقض. (البازعي، 2019: 64)

ولا يقتصر دور المفارقة في هذا النص على الجانب الجمالي، بل يمتد إلى الجانب الاجتماعي، حيث تُستخدم كأداة لنقد الواقع. فالنص لا يكتفي بعرض حالة فردية، بل يعكس وضعًا عامًا تعيشه كثير من النساء، حيث يتم تحميلهن مسؤوليات كبيرة دون منحهن التقدير المناسب. كما أن هذا النوع من المفارقة يُسهم في إشراك القارئ في عملية التأويل، إذ يدفعه إلى إعادة النظر في العبارات الشائعة التي قد تبدو إيجابية، لكنها تحمل في طياتها دلالات سلبية. وهذا ما يُعزز من البعد النقدي للنص، ويجعله أكثر تأثيرًا. ومن زاوية أخرى، إن المفارقة التوضيحية في هذا النص تُستخدم كوسيلة لـ"تفكيك الخطاب الاجتماعي"، حيث يتم الكشف عن التناقض بين ما يُقال عن المرأة، وما تعيشه فعليًا. فبدلًا من مواجهة هذا الخطاب بشكل مباشر، يتم استخدام المفارقة لفضح تناقضاته بطريقة فنية.

كما أن اختيار الألفاظ في النص ليس عشوائيًا، بل يحمل دلالات مقصودة، حيث يتم توظيف مفردات السلطة ("ملكة"، "عرش"، "مملكة") في سياق يُفرغها من معناها الحقيقي، ويُعيد توجيهها نحو دلالة نقدية. وهذا الاستخدام الذكي للغة يُسهم في تعزيز المفارقة، ويمنح النص عمقًا دلاليًا. ويمكن أيضًا ربط هذا النص بالسياق الثقافي والاجتماعي، حيث يُلاحظ أن كثيرًا من المجتمعات تستخدم عبارات تمجيدية لوصف دور المرأة داخل المنزل، لكنها في الواقع لا تُقدّر هذا الدور بشكل فعلي. وهنا تأتي المفارقة لتكشف هذا التناقض، وتُسلّط الضوء على الفجوة بين الخطاب والممارسة

ومن النموذج النصي:

"تقول: أنا بخير،
كلما أثقلها الصمت،
وتبتسم في وجه المرآة،
كي لا ترى شقوق التعب في عينيها".

يُعدّ هذا النص نموذجًا دالًا على توظيف المفارقة التوضيحية في الخطاب النسوي، حيث يقوم على بناء دلالي مزدوج يكشف التناقض بين ما تُظهره الشخصية وما تعيشه في واقعها الداخلي. ويعتمد

النص على لغة بسيطة ومباشرة، إلا أنها تحمل في طياتها دلالات عميقة تُبرز طبيعة المفارقة. (الجبوري، 2024: 27)

فعلى المستوى الظاهري، تُصرّح الشخصية بعبارة "أنا بخير"، وهي جملة تُستخدم عادة للتعبير عن الاستقرار النفسي والراحة. غير أن هذه العبارة، في سياق النص، لا تعكس حقيقة الحالة، بل تُستخدم كقناع لغوي يُخفي وراءه حالة من المعاناة. وهنا تبدأ المفارقة بالتشكّل، حيث يظهر التناقض بين القول (أنا بخير) والحالة الفعلية (الثقل، الصمت، التعب). وتتعمق هذه المفارقة في العبارة "كلما أثقلها الصمت"، حيث يتم ربط الشعور الداخلي بالصمت، الذي يتحول من حالة حيادية إلى حالة ضاغطة. فالصمت هنا لا يُعبّر عن الهدوء، بل عن الكبت وعدم القدرة على التعبير، وهو ما يعكس وضعًا نفسيًا معقدًا تعيشه الشخصية ويقوم النص على ثنائية أساسية: (بنمسعود، 2018: 91)

- **الظاهر"** :أنا بخير"، الابتسامة، الهدوء
- **الباطن** :الصمت الثقيل، التعب، الانكسار

وهذا التناقض يُشكّل جوهر المفارقة التوضيحية، حيث لا يكون المعنى خفيًا تمامًا، بل يمكن للقارئ إدراكه من خلال السياق. فالنص لا يقول بشكل مباشر إن الشخصية تعاني، لكنه يقدّم إشارات واضحة تدل على ذلك. كما أن استخدام الفعل "تقول" يُوحي بأن العبارة ليست تعبيرًا تلقائيًا، بل فعل مقصود، مما يعزز فكرة أن "أنا بخير" ليست حقيقة، بل محاولة لإقناع الذات أو الآخرين وفي هذا النص، تتحول اللغة إلى وسيلة للإخفاء بدل الكشف. فبدل أن تُستخدم للتعبير عن الحالة الحقيقية، تُستخدم لتغطيتها. وهذا يُعدّ من أبرز مظاهر المفارقة، حيث يتم استخدام أداة التعبير (اللغة) لنقيض وظيفتها. فعبارة "أنا بخير" لا تُستخدم هنا للإخبار، بل للإخفاء، وهو ما يُنتج مفارقة دلالية بين الوظيفة الأصلية للجملة ووظيفتها في السياق.

تمثل "المرآة" عنصرًا رمزيًا مهمًا في النص، حيث ترتبط عادة بكشف الحقيقة أو رؤية الذات. غير أن المفارقة تتجلى في أن الشخصية "تبتسم في وجه المرآة"، أي أنها تحاول تقديم صورة مزيفة حتى لنفسها. وهذا السلوك يُشير إلى حالة من الانفصال بين الذات الحقيقية والذات الظاهرة، حيث يتم بناء صورة خارجية لا تعكس الواقع الداخلي. كما أن محاولة إخفاء "شقوق التعب" تُوحي بأن التعب ليس طارئًا، بل متراكم، وقد بدأ في الظهور رغم محاولات إخفائه. ويعكس النص حالة نفسية معقدة تقوم على الكبت والتظاهر. فالشخصية لا تعبّر عن معاناتها بشكل مباشر، بل تلجأ إلى إخفائها من خلال الصمت والابتسامة. وهذا يُنتج حالة من التوتر الداخلي، حيث تتراكم المشاعر دون تفريغ. كما أن تكرار الفعل (تقول، تبتسم) يُوحي بأن هذا السلوك ليس لحظة عابرة، بل نمط مستمر، مما يعزز فكرة أن المفارقة ليست حالة مؤقتة، بل جزء من تجربة معيشة ويمكن قراءة هذا

النص في ضوء السياق الاجتماعي الذي يدفع المرأة إلى إخفاء معاناتها، والحفاظ على صورة معينة أمام الآخرين. فالمجتمع قد لا يتقبل تعبير المرأة عن ضعفها أو تعبها، مما يدفعها إلى التظاهر بالقوة أو الاستقرار. وفي هذا السياق، تصبح عبارة "أنا بخير" جزءًا من خطاب اجتماعي مفروض، وليس تعبيرًا حقيقيًا عن الذات. وهنا تتجلى المفارقة، حيث يُطلب من المرأة أن تبدو بخير، حتى عندما لا تكون كذلك. (بو علي، 2020: 103)

أن المفارقة التوضيحية تُستخدم في هذا النص للكشف عن التناقض بين الخطاب الظاهري والحالة النفسية الحقيقية، من خلال لغة بسيطة تحمل دلالات عميقة. وهي لا تُخفي التناقض بشكل كامل، بل تُقدّم إشارات واضحة تساعد القارئ على إدراكه. كما تُظهر هذه المفارقة أن التظاهر بالقوة أو الاستقرار قد يكون نتيجة لضغوط اجتماعية، وليس تعبيرًا حقيقيًا عن الذات. ومن هنا، فإن النص لا يكتفي بوصف الحالة، بل يكشف عن أسبابها، مما يمنحه بعدًا نقديًا.

ثانيا: المفارقة التناقضية

يمكن تعريف المفارقة التناقضية بأنها بنية دلالية تقوم على إبراز تعارض حاد بين فكرتين أو حالتين أو صورتين داخل النص، بحيث يعكس هذا التعارض صراعًا وجوديًا أو اجتماعيًا، دون تقديم حل مباشر لهذا التناقض، مما يفتح المجال أمام تعدد التأويلات. (الجراح، 2022: 56)

وفي النصوص النسوية، تُستخدم المفارقة التناقضية للتعبير عن حالة الازدواجية التي تعيشها المرأة، بين ما ترغب فيه وما يُفرض عليها، وبين هويتها الذاتية والصورة الاجتماعية المفروضة عليها، مما يجعلها أداة فنية قادرة على تجسيد التعقيد النفسي والاجتماعي للتجربة النسوية. (حسين، 2020: 88)

"أرادت أن تكون حرة،
فتعلّمت كيف تُطيع،
وصارت قيودها طريقًا للنجاة".

يمثل هذا النص نموذجًا واضحًا للمفارقة التناقضية، حيث يقوم على بناء دلالي قائم على الجمع بين عناصر متضادة في جوهرها، أبرزها: الحرية والطاعة، والقيود والنجاة. ويُلاحظ أن هذه العناصر لا تُعرض بوصفها متقابلات بسيطة، بل بوصفها علاقات متشابكة تعكس صراعًا داخليًا عميقًا، يُجسّد طبيعة التجربة النسوية في كثير من السياقات الاجتماعية.

فعلى المستوى الأول، يُعبّر النص عن رغبة أساسية لدى الإنسان عمومًا، والمرأة على وجه الخصوص، وهي الرغبة في الحرية، التي تمثل قيمة عليا ترتبط بالاستقلال وتحقيق الذات. إلا أن هذه الرغبة لا تتحقق في النص من خلال وسائلها الطبيعية، بل عبر مسار معاكس يتمثل في

"تعلم الطاعة"، وهو ما يُشكّل نقطة الانعطاف الأساسية في بناء المفارقة. إن الجمع بين "الحرية" و"الطاعة" يُعدّ في حد ذاته تناقضًا جوهريًا، لأن الطاعة ترتبط عادة بالخضوع والامتثال، في حين ترتبط الحرية بالاستقلال والانفلات من القيود. غير أن النص لا يكتفي بإبراز هذا التناقض، بل يعمّقه من خلال تقديم الطاعة بوصفها وسيلة لتحقيق الحرية، وهو ما يُنتج مفارقة تناقضية حادة. كما تتعزز هذه المفارقة في العبارة الأخيرة "صارت قيودها طريقًا للنجاة"، حيث يتم تحويل "القيود"، التي تمثل في الأصل عائقًا، إلى وسيلة للنجاة. وهذا التحول الدلالي يُعبّر عن واقع معقد، حيث تضطر المرأة في بعض الأحيان إلى التكيف مع القيود المفروضة عليها، ليس بوصفها خيارًا، بل كاستراتيجية للبقاء أو لتجنب صراعات أكبر. (خليل، 2020: 34)

يقوم النص على مجموعة من الثنائيات المتضادة، من أبرزها:

الحرية × الطاعة

القيود × النجاة

وهذه الثنائيات لا تُعرض بشكل منفصل، بل يتم دمجها داخل بنية واحدة، مما يُنتج توترًا دلاليًا مستمرًا. وهذا التوتر هو ما يُشكّل جوهر المفارقة التناقضية، حيث لا يتم حل التناقض، بل يُترك مفتوحًا.

يعكس النص صراعًا داخليًا تعيشه الشخصية النسوية، بين رغبتها في التحرر، وواقعها الذي يفرض عليها الامتثال. وهذا الصراع لا يُقدَّم بوصفه حالة فردية، بل بوصفه انعكاسًا لبنية اجتماعية تضغط على المرأة، وتدفعها إلى التكيف مع شروط لا تنسجم مع طموحاتها. فالمرأة في هذا النص لا تتخلى عن رغبتها في الحرية، لكنها تضطر إلى إعادة تعريف هذه الحرية ضمن حدود الواقع، مما يؤدي إلى نشوء حالة من "التكيف القسري"، التي تُعدّ أحد أبرز مظاهر المفارقة التناقضية، ويمكن قراءة النص أيضًا في ضوء السياق الاجتماعي، حيث يُعبّر عن واقع تعيشه كثير من النساء في مجتمعات تفرض عليهن أدوارًا محددة، وتقيّد حريتهن تحت مسميات مختلفة، مثل العادات والتقاليد. وتصبح الطاعة وسيلة للاندماج الاجتماعي، بينما يُنظر إلى الحرية بوصفها تهديدًا للنظام القائم. وهنا تتجلى المفارقة، حيث تضطر المرأة إلى استخدام أدوات النظام نفسه (الطاعة) لتحقيق قدر محدود من الحرية، ويمكن النظر إلى "القيود" في النص بوصفها رمزًا للقيود الاجتماعية والثقافية، في حين تمثل "النجاة" القدرة على الاستمرار والتكيف. ومن خلال هذا الترميز، يُعبّر النص عن مفارقة عميقة تتمثل في أن ما يُفترض أن يكون عائقًا، يتحول إلى وسيلة للبقاء. وهذا النوع من التحويل الدلالي يُعدّ من السمات الأساسية للمفارقة التناقضية، حيث يتم إعادة توظيف العناصر السلبية لتأدية وظيفة إيجابية، دون إلغاء التناقض القائم بينها. (الخزرجي، 2019: 120)

تؤدي المفارقة التناقضية في هذا النص وظيفة نقدية واضحة، حيث تكشف عن خلل في البنية الاجتماعية التي تجعل من الطاعة شرطًا غير مباشر للنجاة. فالنص لا يُمجّد هذا الواقع، بل يكشف تناقضه، من خلال إبراز العلاقة غير المنطقية بين الحرية والطاعة. كما يُسلّط الضوء على الآليات التي يتم من خلالها إعادة إنتاج هذا الواقع، حيث يتم تقديم الطاعة بوصفها فضيلة، في حين يتم تقييد الحرية أو إعادة تعريفها بما يتناسب مع النظام القائم، وتُحدث المفارقة التناقضية في هذا النص أثرًا عميقًا في القارئ، لأنها لا تقدم له معنى جاهزًا، بل تضعه أمام تناقض يحتاج إلى تفسير. وهذا ما يدفعه إلى التفكير في طبيعة العلاقة بين الحرية والطاعة، وإعادة النظر في المفاهيم التي قد تبدو بديهية. كما أن غياب الحل داخل النص يُسهم في تعزيز هذا التأثير، حيث يظل القارئ في حالة تساؤل، وهو ما يُعدّ من أهم وظائف الأدب النقدي. (الحمادي، 2021: 73)

أن المفارقة التناقضية تُستخدم في النص بوصفها أداة فنية وفكرية للكشف عن الصراع بين القيم المتعارضة، مثل الحرية والطاعة، والقيود والنجاة. وهي لا تسعى إلى حل هذا الصراع، بل إلى إبرازه وتعميقه، مما يمنح النص طابعًا نقديًا يعكس تعقيد التجربة النسوية. كما تُظهر هذه المفارقة أن الواقع لا يقوم دائمًا على علاقات منطقية، بل قد يحتوي على تناقضات تُفرض على الأفراد، وتجبرهم على التكيف معها بطرق غير تقليدية. ومن هنا، فإن المفارقة التناقضية لا تُعدّ مجرد تقنية بلاغية، بل تمثل وسيلة لفهم الواقع وتفكيكه ومن النموذج النصي:

"كبرت وهي تُحسن الصمت،
وتتعلم كيف تُخفي صوتها،
حتى إذا نطقت يومًا،
لم تجد ما تقوله".

يُعدّ هذا النص نموذجًا واضحًا لتجسيد المفارقة التناقضية في الخطاب النسوي، حيث يقوم على بناء دلالي قائم على تناقض حاد بين عناصر متقابلة، تتمثل في القدرة على الكلام مقابل فقدان القدرة على التعبير، وفي التعلم مقابل الإلغاء التدريجي للذات. ويُظهر النص كيف يمكن أن تتحول عملية "التعلّم"، التي يُفترض أن تكون وسيلة للنمو والتطور، إلى أداة لإنتاج العجز والصمت. فعلى المستوى الأول، يبدأ النص بالفعل "كبرت"، وهو فعل يوحي بالنمو الطبيعي والتطور الزمني، غير أن هذا النمو لا يقترن باكتساب القوة أو الوعي، بل يُرافقه تعلّم "الصمت"، وهو ما يُشكّل أول ملامح التناقض. فبدل أن يكون النمو طريقًا لاكتساب الصوت، يصبح وسيلة لفقدانه. وتتعمق هذه المفارقة في العبارة "وتتعلم كيف تُخفي صوتها"، حيث يتم تصوير عملية الإخفاء بوصفها مهارة مكتسبة، أي أن المجتمع لا يفرض الصمت بشكل مباشر، بل يُعلّم المرأة كيف تمارسه بنفسها. وهذا التحول من القمع الخارجي إلى التكيّف الداخلي يُعدّ من أبرز مظاهر المفارقة التناقضية. أما

الذروة الدلالية للنص فتتجلى في العبارة الأخيرة "حتى إذا نطقت يومًا، لم تجد ما تقوله"، حيث يصل التناقض إلى أقصاه، إذ تصبح القدرة على النطق موجودة من الناحية الشكلية، لكنها فارغة من المضمون. وهنا تتحقق المفارقة في صورتها الكاملة: صوت بلا كلام، ونطق بلا معنى ويقوم النص على مجموعة من الثنائيات المتضادة، من أبرزها: (الزيدي، 2023: 98)

النمو × التراجع

التعلم × الإلغاء

النطق × العجز عن التعبير

وهذه الثنائيات لا تُطرح بوصفها متقابلات منفصلة، بل يتم دمجها داخل بنية واحدة، مما يُنتج توترًا دلاليًا مستمرًا. فالتعلم، الذي يُفترض أن يكون إيجابيًا، يؤدي إلى نتيجة سلبية، والنطق، الذي يُفترض أن يكون تعبيرًا، يتحول إلى فراغ. وهذا التناقض غير المحسوم هو ما يُشكّل جوهر المفارقة التناقضية، حيث لا يتم حل الصراع، بل يُترك مفتوحًا، مما يعكس تعقيد الواقع الذي يشير إليه النص.

من أبرز ما يكشفه النص هو انتقال عملية القمع من كونها مفروضة من الخارج إلى كونها متجذرة في الداخل. فالشخصية لا تُجبر على الصمت بشكل مباشر، بل "تتعلم" كيف تمارسه، وهو ما يعني أن القمع أصبح جزءًا من تكوينها النفسي. وهذا التحول يُعدّ من أخطر أشكال القمع، لأنه لا يُمارس بالقوة، بل بالتطبيع، حيث يتم تقديم الصمت بوصفه سلوكًا طبيعيًا أو مرغوبًا. وهنا تتجلى المفارقة، حيث يتم تقديم التقييد بوصفه تعلّمًا، في حين أنه في الواقع إلغاء للذات. ويعكس النص حالة نفسية معقدة تقوم على التراكم، حيث يتم بناء الصمت بشكل تدريجي، إلى أن يصبح جزءًا من الهوية. فالشخصية لا تفقد صوتها فجأة، بل عبر سلسلة من الممارسات التي تُعلّمها كيف تُخفيه. وهذا التراكم يؤدي في النهاية إلى حالة من "العجز التعبيري"، حيث تفقد القدرة على صياغة الكلام، حتى عندما تتاح لها فرصة النطق. وهنا يظهر التناقض بين الإمكان والقدرة، حيث يكون النطق ممكنًا، لكن التعبير غير ممكن. (السالمي، 2023: 67)

يلعب الزمن دورًا مهمًا في هذا النص، حيث يتم استخدامه لبناء المفارقة بشكل تدريجي. فالفعل "كبرت" يُشير إلى امتداد زمني، وخلال هذا الامتداد يتم ترسيخ الصمت، إلى أن يصل إلى ذروته في النهاية. وهذا التدرج الزمني يُعطي المفارقة عمقًا، لأنها لا تظهر بشكل مفاجئ، بل تتشكل عبر الزمن، مما يجعلها أكثر واقعية. كما يُظهر أن المشكلة ليست لحظة عابرة، بل نتيجة لتراكم طويل من الممارسات ويمكن قراءة هذا النص بوصفه انعكاسًا لبنية اجتماعية تُقيّد صوت المرأة، وتُحدّد لها ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله. فالمجتمع لا يمنع المرأة من الكلام بشكل مباشر، لكنه يضع حدودًا غير مرئية تجعلها تُفضّل الصمت. وفي هذا السياق، يصبح الصمت سلوكًا مكتسبًا، وليس

مفروضًا، وهو ما يُنتج مفارقة تناقضية، حيث يبدو أن المرأة تختار الصمت، في حين أنها في الواقع مُوجَّهة إليه. (الضوي، 2024: 23)

أن المفارقة التناقضية تُستخدم في هذا النص للكشف عن التناقض بين التعلم والإلغاء، وبين النطق والعجز عن التعبير، من خلال بنية دلالية تقوم على التوتر المستمر بين عناصر متضادة. كما يُظهر النص أن القمع قد لا يكون دائمًا مباشرًا، بل قد يتم من خلال عمليات تعليمية تُعيد تشكيل الفرد من الداخل، مما يجعله يتبنى السلوك المفروض عليه. ومن هنا، فإن المفارقة التناقضية تُعدّ أداة فعّالة لفهم هذا النوع من التعقيد.

ثالثا: المفارقة الساخرة

يمكن تعريف المفارقة الساخرة بأنها أسلوب تعبيري يقوم على التناقض بين معنى ظاهري يحمل طابعًا ساخرًا أو إيجابيًا، ومعنى ضمني نقدي يكشف خللًا أو تناقضًا في الواقع، حيث يتم تقديم الوضع السلبي أو القمعي في صورة إيجابية أو مقبولة على نحو تهكمي. (عبد العزيز، 2022: 41)

وفي إطار النصوص النسوية، تُستخدم المفارقة الساخرة بوصفها أداة فعّالة لكشف التناقض بين الخطاب الاجتماعي الذي يدّعي دعم المرأة، والواقع الذي يُمارس ضدها أشكالًا مختلفة من التهميش أو التقييد. كما تُعدّ وسيلة ذكية للتعبير عن القضايا الحساسة بطريقة غير مباشرة، تتجنب المواجهة الصريحة، لكنها في الوقت نفسه تحمل قوة نقدية عالية.

"كم أنا محظوظة،
قالوا لي: لا تفكري كثيرًا،
فالعالم يفكّر عنكِ".

يمثل هذا النص نموذجًا واضحًا للمفارقة الساخرة، حيث يقوم على بناء دلالي قائم على قلب المعنى، وتقديم وضع سلبي في صورة إيجابية ظاهرية. ويعتمد النص على لغة بسيطة، لكنها محمّلة بدلالات عميقة، تُسهم في كشف التناقض بين الخطاب الظاهري والواقع الفعلي.

فعلى المستوى الظاهري، تبدأ العبارة بـ"كم أنا محظوظة"، وهي صيغة تعبيرية توحي بالرضا والامتنان، وتُستخدم عادة للإشارة إلى وضع إيجابي أو نعمة يتمتع بها المتكلم. غير أن هذا الشعور الظاهري بالامتنان سرعان ما يتقاطع مع مضمون الجملة التالية، التي تكشف عن واقع مختلف تمامًا، يتمثل في حرمان المرأة من حق التفكير، من خلال العبارة "لا تفكري كثيرًا." وهنا تتجلى المفارقة الساخرة، حيث يتم تقديم هذا الحرمان بوصفه ميزة أو سببًا للحظ الجيد، وهو ما يُشكّل قلبًا واضحًا للمعنى. فبدلًا من اعتبار التفكير حقًا أساسيًا، يتم تصوير غيابه كنوع من الراحة أو الامتياز، مما يكشف عن خلل عميق في المنظومة الفكرية والاجتماعية. وتتعمق هذه المفارقة في

العبارة الأخيرة "فالعالم يفكّر عنكِ"، حيث يتم إلغاء دور المرأة بوصفها كائنًا مفكرًا، واستبداله بكيان خارجي يتولى هذه المهمة. وهذا الطرح، رغم بساطته الظاهرية، يحمل دلالة نقدية حادة، لأنه يُشير إلى سلب أحد أهم مقومات الإنسان، وهو القدرة على التفكير المستقل. يقوم النص على تناقض واضح بين: (الهاشمي، 2022: 89)

- الحظ × الحرمان
- الامتنان × القمع
- الراحة الظاهرية × الإلغاء الحقيقي للذات

وهذا التناقض لا يُعرض بشكل مباشر، بل من خلال أسلوب ساخر يُخفي المعنى الحقيقي خلف قناع من الإيجابية. وهذا ما يُميز المفارقة الساخرة عن غيرها، حيث يتم تمرير النقد من خلال السخرية، وليس من خلال التصريح. السخرية في هذا النص ليست غاية في ذاتها، بل وسيلة لنقد الواقع. فالمتكلمة لا تعبّر عن سعادتها الحقيقية، بل تستخدم هذا التعبير بشكل تهكمي لتُظهر التناقض بين ما يُقال لها، وما يعنيه ذلك فعليًا. فعبارة "كم أنا محظوظة" تُستخدم هنا بطريقة عكسية، حيث لا تعبّر عن شعور حقيقي، بل تُستخدم للسخرية من وضع غير عادل. وهذا الاستخدام يُعدّ من أبرز تقنيات المفارقة الساخرة، حيث يتم توظيف اللغة بطريقة تُناقض معناها الظاهري.

يعكس النص بنية اجتماعية تُقيّد دور المرأة، وتُحدّد لها مجالًا ضيقًا للتفكير والتعبير. فالمجتمع، في هذا السياق، لا يمنع المرأة من التفكير بشكل مباشر، بل يُقدّم لها بديلًا يتمثل في "التفكير بالنيابة عنها"، وهو ما يُعدّ شكلًا أكثر تعقيدًا من أشكال السيطرة.

وهنا تكمن المفارقة، حيث يتم تقديم هذا الشكل من السيطرة بوصفه خدمة أو امتياز، في حين أنه في الواقع يُمثّل إلغاءً لذات المرأة. وهذا الطرح يُسلّط الضوء على الأساليب غير المباشرة التي تُستخدم لإعادة إنتاج الهيمنة. يسهم هذا النص في تفكيك الخطاب الاجتماعي الذي يُروّج لفكرة أن المرأة لا تحتاج إلى التفكير أو اتخاذ القرار، وأن هناك من يمكنه القيام بذلك نيابة عنها. ومن خلال المفارقة الساخرة، يتم كشف زيف هذا الخطاب، وإظهار تناقضه. فبدلًا من مواجهة هذا الخطاب بشكل مباشر، يتم تحويله إلى موضوع للسخرية، وهو ما يُضعف من سلطته، ويُعيد النظر في مسلّماته. وهذا ما يُعدّ من أهم وظائف المفارقة الساخرة، حيث تُستخدم لتقويض الخطابات السائدة من الداخل. تُحدث المفارقة الساخرة في هذا النص أثرًا مزدوجًا في القارئ، حيث تجمع بين الإحساس بالدهشة والإدراك النقدي. ففي البداية، قد يبدو النص بسيطًا أو حتى طريفًا، لكن مع التعمق فيه، يتضح أنه يحمل نقدًا عميقًا لواقع غير عادل. وهذا الانتقال من السطح إلى العمق يُسهم في جعل القارئ أكثر تفاعلًا مع النص، لأنه يُجبره على إعادة تفسير المعنى، واكتشاف

التناقض الكامن فيه. كما أن السخرية تُخفف من حدة النقد، لكنها في الوقت نفسه تجعله أكثر تأثيرًا. (يوسف، 2019: 47)

أن المفارقة الساخرة تُستخدم في هذا النص كأداة فعّالة للكشف عن التناقض بين الخطاب الاجتماعي والواقع، من خلال تقديم الوضع السلبي في صورة إيجابية ظاهرية. وهي لا تكتفي بإبراز هذا التناقض، بل تُحمّله بعدًا نقديًا عميقًا، يُسهم في تفكيك البنية الفكرية التي يقوم عليها. كما تُظهر هذه المفارقة أن السخرية ليست مجرد أسلوب بلاغي، بل وسيلة لفهم الواقع ونقده، حيث تتيح للكاتب أن يقول ما لا يمكن قوله بشكل مباشر، دون أن يفقد تأثيره. ومن هنا، فإن المفارقة الساخرة تُعدّ من أهم الأدوات التي يعتمد عليها الأدب النسوي في التعبير عن قضاياه ومن النموذج النصي:

"قالوا لها: أنتِ حرة،
تستطيعين أن تختاري كل شيء،
ما دمتِ تختارين ما نريد".

يمثل هذا النص نموذجًا واضحًا للمفارقة الساخرة في الخطاب النسوي، حيث يقوم على بناء دلالي يعتمد على قلب المعنى، وتقديم وضع قائم على التقييد في صورة حرية ظاهرية. ويعتمد النص على لغة مباشرة وبسيطة، إلا أنها تحمل في طياتها دلالة نقدية عميقة، تكشف التناقض بين الخطاب الاجتماعي والممارسة الفعلية.

فعلى المستوى الظاهري، تبدأ العبارة بإقرار واضح بحرية المرأة "أنتِ حرة"، وهو تصريح يحمل دلالة إيجابية ترتبط بالاستقلال والقدرة على اتخاذ القرار. غير أن هذه الدلالة سرعان ما تُفرغ من مضمونها من خلال الجملة التالية "تستطيعين أن تختاري كل شيء"، والتي تبدو في ظاهرها تأكيدًا للحرية، لكنها تمهّد لانقلاب دلالي في العبارة الأخيرة. وتتجلى المفارقة الساخرة في ذروتها في الجملة "ما دمتِ تختارين ما نريد"، حيث يتم تقييد الحرية بشرط يُلغيها. فحرية الاختيار هنا ليست حقيقية، بل مشروطة وموجَّهة، مما يُحوّلها إلى شكل من أشكال التقييد المغلّف بلغة الحرية. وهذا التناقض بين الادعاء (الحرية) والشرط (الامتثال) يُشكّل جوهر المفارقة الساخرة. (النعيمي، 2020: 101)

تعتمد المفارقة الساخرة في هذا النص على تقنية قلب المعنى، حيث يتم تقديم القيد في صورة حرية. فبدلًا من القول إن المرأة مقيدة، يتم إيهامها بأنها حرة، لكن ضمن حدود محددة مسبقًا. وهذا القلب يُنتج مفارقة، لأن المعنى الظاهري يتناقض مع المعنى الحقيقي. فكلما زاد التأكيد على الحرية، زاد وضوح التقييد، وهو ما يُبرز التناقض بطريقة ساخرة والسخرية في هذا النص لا تقوم على التهكم اللفظي فقط، بل على كشف التناقض في الخطاب. فالنص لا يسخر بشكل مباشر، بل يعرض العبارة كما هي، لكنه يضعها في سياق يُظهر تناقضها. فعبارة "أنتِ حرة" تُستخدم هنا بطريقة

تهكمية، لأنها لا تعكس الواقع، بل تُخفيه. وهذا الاستخدام يُسهم في تفكيك الخطاب الذي يدّعي منح الحرية، بينما يفرض القيود. ويكشف النص عن فجوة واضحة بين ما يُقال وما يُمارس. فالخطاب يُعلن الحرية، لكن الممارسة تفرض شروطًا تُلغي هذه الحرية. وهذا التناقض يُعدّ من أبرز القضايا التي يعالجها الأدب النسوي. وهنا تتجلى المفارقة الساخرة، حيث يتم الجمع بين هذين المستويين داخل عبارة واحدة، مما يُبرز التناقض بشكل مكثف ويمكن قراءة النص بوصفه انعكاسًا لبنية اجتماعية تُقدّم للمرأة حرية شكلية، لكنها في الواقع تُحدّد لها الخيارات المقبولة. فالمجتمع قد يسمح للمرأة بالاختيار، لكنه يضع إطارًا لهذا الاختيار، بحيث لا يتجاوز حدودًا معينة.

وفي هذا السياق، تصبح الحرية مجرد وهم، لأن الخيارات الحقيقية غير متاحة. وهذا الوضع يُنتج مفارقة ساخرة، حيث تبدو المرأة حرة، لكنها في الواقع مقيدة ومن أبرز ما يكشفه النص هو شكل من أشكال السيطرة غير المباشرة، حيث لا يتم فرض الأوامر بشكل صريح، بل يتم توجيه الاختيارات. فبدلًا من القول "افعلي كذا"، يتم القول "اختاري"، لكن ضمن حدود محددة. وهذا الأسلوب يُعدّ أكثر تعقيدًا، لأنه يُخفي السيطرة تحت غطاء الحرية، وهو ما يُعزّز المفارقة. أن المفارقة الساخرة تُستخدم في هذا النص للكشف عن التناقض بين الحرية المعلنة والقيود الفعلية، من خلال قلب المعنى وتوظيف السخرية. وهي تُسهم في تفكيك الخطاب الاجتماعي، وإبراز التناقض بين القول والممارسة. (ينظر: محمود، 2022: 115).

رابعا: المفارقة الرمزية (الإيحائية)

يمكن تعريف المفارقة الرمزية بأنها بنية دلالية تقوم على استخدام رمز أو صورة إيحائية تحمل في ظاهرها معنى معينًا، لكنها تُحيل في باطنها إلى معنى آخر متناقض أو مغاير، بحيث ينشأ التوتر الدلالي من العلاقة بين الرمز وما يرمز إليه. (نجمي، 2018: 69)

وفي النصوص النسوية، تُستخدم المفارقة الرمزية كوسيلة للتعبير عن القضايا الحساسة والمعقدة، مثل القمع الاجتماعي أو تقييد الحرية، بطريقة غير مباشرة، مما يمنح النص بعدًا فنيًا وفكريًا عميقًا، ويتيح للكاتبة تجاوز القيود المفروضة على التعبير المباشر. (مرسال، 2021: 96)

"فتحت نافذتها كل صباح،
لكن الجدار ظلّ أقرب من الهواء،
وكان الضوء يمرّ... دون أن يصل".

يمثل هذا النص نموذجًا واضحًا للمفارقة الرمزية، حيث يعتمد على بنية تصويرية قائمة على مجموعة من الرموز، مثل "النافذة" و"الجدار" و"الضوء"، وهي عناصر تحمل دلالات متعددة، تتجاوز معناها الحسي المباشر إلى معانٍ أعمق ترتبط بالحرية والانفتاح والقيود. فعلى المستوى الظاهري، يُقدّم النص مشهدًا بسيطًا يتمثل في امرأة تفتح نافذتها كل صباح، وهو فعل يوحي بالرغبة

في التواصل مع العالم الخارجي، والانفتاح على الحياة. غير أن هذا الفعل، رغم تكراره، لا يؤدي إلى النتيجة المتوقعة، حيث يبقى "الجدار" حاضرًا بوصفه عنصرًا ماديًا يحول دون تحقق هذا الانفتاح. وهنا تبدأ المفارقة في التشكّل، إذ يتحول فعل "فتح النافذة"، الذي يُفترض أن يكون وسيلة للحرية، إلى فعل بلا جدوى، بسبب وجود عائق رمزي يتمثل في "الجدار". وهذا التناقض بين الفعل ونتيجته يُشكّل أحد أوجه المفارقة الرمزية. وتتعمق هذه المفارقة في العبارة الأخيرة "وكان الضوء يمرّ... دون أن يصل"، حيث يتم استخدام "الضوء" بوصفه رمزًا للأمل أو المعرفة أو الحرية، لكنه في هذا السياق يفقد وظيفته، إذ يمرّ دون أن يصل. وهذا الاستخدام يُعبّر عن حالة من الانفصال بين الإمكان والواقع، حيث يكون الأمل موجودًا، لكنه غير قابل للتحقق. يعتمد النص على مجموعة من الرموز الأساسية، غير أن هذه الرموز لا تعمل بشكل تقليدي، بل يتم توظيفها بطريقة تُنتج مفارقة، حيث لا تؤدي إلى المعاني المتوقعة منها. فالنافذة لا تحقق الانفتاح، والضوء لا يصل، وهو ما يُنتج توترًا دلاليًا بين الرمز ووظيفته، وتقوم المفارقة في هذا النص على تناقض غير مباشر بين الانفتاح × الانغلاق والأمل × العجز والحركة × الجمود. (كمال، 2019: 82)

وهذا التناقض لا يُعرض بشكل صريح، بل من خلال بنية رمزية تُخفي المعنى خلف الصورة. وهذا ما يُميز المفارقة الرمزية، حيث يُترك للقارئ مهمة الكشف عن التناقض.

يمكن قراءة النص بوصفه تعبيرًا عن حالة نفسية تعيشها الشخصية، حيث تسعى إلى التحرر، لكنها تصطدم بعوائق تحول دون ذلك. ففعل "فتح النافذة" يُشير إلى محاولة مستمرة للتغيير، لكن وجود "الجدار" يُحبط هذه المحاولة. وهذا يُنتج حالة من التوتر النفسي، حيث تتكرر المحاولة دون نتيجة، مما يُعزز الإحساس بالعجز. كما أن مرور الضوء دون وصوله يُعبّر عن إدراك جزئي للحرية، دون القدرة على تحقيقها. ويمكن تفسير "الجدار" بوصفه رمزًا للقيود الاجتماعية التي تحدّ من حرية المرأة، سواء كانت هذه القيود ناتجة عن العادات أو التقاليد أو البنى الثقافية. وفي هذا السياق، يصبح فتح النافذة فعلًا رمزيًا للمقاومة، لكنه يظل محدود التأثير. وهنا تتجلى المفارقة، حيث يبدو أن هناك إمكانية للانفتاح (النافذة، الضوء)، لكن الواقع يفرض حدودًا تمنع تحقق هذه الإمكانية. وهذا يُعبّر عن التناقض بين الخطاب الذي يتحدث عن الحرية، والواقع الذي يُقيّدها. (القيرواني، 2020: 58)

تُسهم المفارقة الرمزية في إضفاء بعد جمالي على النص، من خلال استخدام الصور والإيحاءات بدل التصريح المباشر. فالنص لا يقول إن المرأة مقيدة، بل يُجسّد هذا القيد من خلال صورة "الجدار" الذي يعيق الضوء. وهذا الأسلوب يُعطي النص عمقًا، لأنه يفتح المجال أمام القارئ لتأويل المعنى، بدل تلقيه بشكل مباشر. كما أن الغموض النسبي يُسهم في تعزيز التفاعل مع النص، لأنه يتطلب جهدًا فكريًا لفهمه. وتقوم المفارقة الرمزية على وجود فجوة بين المعنى الظاهري والمعنى

الباطني، حيث يبدو النص في ظاهره بسيطًا، لكنه يحمل في باطنه دلالة نقدية عميقة. ففتح النافذة، على سبيل المثال، يبدو فعلًا عاديًا، لكنه في هذا السياق يُعبّر عن رغبة في التحرر. وهذا التباين بين الظاهر والباطن يُنتج مفارقة، حيث لا يتطابق ما يُرى مع ما يُفهم، وهو ما يُعزز من عمق النص.

أن المفارقة الرمزية (الإيحائية) تُستخدم في هذا النص بوصفها أداة فنية عميقة للكشف عن التناقض بين الإمكان والواقع، من خلال توظيف رموز تحمل دلالات متعددة. وهي لا تُظهر التناقض بشكل مباشر، بل تُخفيه خلف بنية تصويرية تتطلب تأملًا وتأويلًا. كما تُظهر هذه المفارقة أن الرمز يمكن أن يكون وسيلة فعّالة للتعبير عن القضايا المعقدة، خاصة في الأدب النسوي، حيث يُستخدم لتجاوز القيود المفروضة على التعبير المباشر، مع الحفاظ على البعد النقدي للنص. ومن هنا، فإن المفارقة الرمزية لا تُعدّ مجرد تقنية بلاغية، بل تمثل وسيلة لفهم الواقع وإعادة صياغته من خلال اللغة، بما يُتيح كشف التناقضات التي قد لا تظهر على السطح".أغ ومن النموذج النصي: (القطامي، 2019: 37)

لقتْ بابها جيدًا،
لكن الريح كانت تعرف الطريق،
تدخل كل مساء،
وتبعثر ما رتّبته من هدوء،
ثم تخرج...
وكأن شيئًا لم يحدث".

يُعدّ هذا النص نموذجًا دالًا على توظيف المفارقة الرمزية في الخطاب الشعري النسوي، حيث يعتمد على بنية إيحائية تقوم على استخدام عناصر بسيطة في ظاهرها، لكنها تحمل في عمقها دلالات رمزية مركّبة، تُنتج توترًا دلاليًا بين ما يُرى وما يُفهم، وهو ما يُشكّل جوهر المفارقة.

فعلى المستوى الظاهري، يقدّم النص مشهدًا يوميًا مألوفًا يتمثل في إغلاق الباب، ودخول الريح، ثم خروجها، وهو مشهد لا يحمل في ذاته أي تعقيد إذا ما تمّت قراءته قراءة حرفية. غير أن هذا المشهد يتحول، من خلال التوظيف الرمزي، إلى بنية دلالية عميقة تعبّر عن حالة داخلية تعيشها الذات، حيث لا يعود الباب مجرد عنصر مادي، ولا الريح مجرد ظاهرة طبيعية، بل يتحول كل منهما إلى رمز يُحيل إلى معانٍ نفسية واجتماعية أوسع. يمكن قراءة "الباب" في هذا النص بوصفه رمزًا للحماية أو العزلة أو محاولة السيطرة على العالم الخارجي. ففعل "الإغلاق الجيد" يوحي بوجود رغبة في الانفصال عما هو خارج الذات، أو في بناء حدود فاصلة تحمي الداخل من التهديدات. غير أن هذه الحماية، رغم إحكامها الظاهري، تبدو غير كافية، وهو ما يتضح من خلال العبارة

التالية "لكن الريح كانت تعرف الطريق"، حيث يتم كسر هذا الإحساس بالأمان، وإظهار هشاشته. (العزاوي، 2019: 76)

أما "الريح"، فهي تمثل في هذا السياق رمزًا معقدًا يمكن تأويله على عدة مستويات. فقد تشير إلى الاضطرابات النفسية، أو الذكريات، أو الضغوط الاجتماعية التي تتسلل إلى الذات رغم محاولات مقاومتها. وهي لا تأتي بشكل عنيف أو مباشر، بل "تدخل كل مساء"، أي أنها تتكرر بشكل منتظم، مما يمنحها طابعًا اعتياديًا، ويجعلها جزءًا من تجربة مستمرة لا يمكن الفكاك منها. وهذا التكرار يُعزّز من الإحساس بالعجز، حيث تصبح الذات غير قادرة على منع هذا التسلل، رغم وعيها به. (العنزي، 2019: 29)

وتتجلى المفارقة الرمزية بوضوح في العلاقة بين فعل "الإغلاق" ونتيجته. فمن المتوقع أن يؤدي إغلاق الباب إلى منع دخول الريح، غير أن ما يحدث هو العكس تمامًا، حيث تدخل الريح بسهولة، وكأن الإغلاق لم يكن ذا جدوى. وهنا ينشأ التوتر الدلالي الذي يُشكّل جوهر المفارقة، إذ لا تتطابق النتيجة مع الفعل، ولا يتحقق الهدف المرجو من السلوك. وهذا التناقض لا يُعرض بشكل مباشر، بل من خلال بنية رمزية تُخفي المعنى خلف الصورة. كما تتعزز هذه المفارقة في العبارة "وتبعثر ما رتّبته من هدوء"، حيث يتم تصوير الهدوء بوصفه شيئًا ماديًا يمكن ترتيبه، ثم تبعثره. وهذا التجسيد يُضفي على الحالة النفسية طابعًا ملموسًا، ويجعل من "الهدوء" كيانًا هشًا يمكن أن ينهار بسهولة. فالذات هنا لا تعيش هدوءًا حقيقيًا، بل حالة مؤقتة من التوازن، سرعان ما تُختل بفعل عوامل خارجية. وهذا يعكس وضعًا نفسيًا يتسم بعدم الاستقرار، حيث لا يكون الصفاء الداخلي ناتجًا عن انسجام حقيقي، بل عن محاولة مستمرة للسيطرة.

ومن زاوية أخرى، يمكن النظر إلى هذا التبعثر بوصفه رمزًا لانهيار النظام الداخلي الذي تسعى الذات إلى بنائه. ففعل "الترتيب" يدل على جهد واعٍ لإعادة تنظيم الداخل، سواء على المستوى النفسي أو العاطفي، غير أن هذا الجهد يُقابل بقوة خارجية تُعيد الفوضى إلى ما كان عليه. وهنا تتجلى المفارقة في أن النظام لا يُهدم من الداخل، بل من خلال عناصر لا يمكن التحكم بها. (عبد الله، 2021: 109)

أما العبارة الأخيرة "ثم تخرج... وكأن شيئًا لم يحدث"، فهي تمثل ذروة المفارقة الرمزية في النص، حيث يتم تقديم فعل التخريب بوصفه حدثًا عابرًا لا يترك أثرًا ظاهرًا. فالريح، بعد أن تُحدث الفوضى، تغادر دون أن تُظهر أي أثر لما قامت به، وهو ما يُعبّر عن نوع من "العنف الصامت" الذي لا يُرى، لكنه يُؤثّر بعمق. وهذا النوع من العنف يُعدّ من أبرز ما تعالجه النصوص النسوية، حيث لا يكون القمع دائمًا مباشرًا أو صريحًا، بل قد يأتي في صور خفية يصعب تحديدها أو مواجهتها. ويُنتج هذا المشهد حالة من الانفصال بين الظاهر والباطن، حيث يبدو كل شيء في الخارج

طبيعيًا، في حين أن الداخل يعاني من اضطراب مستمر. وهذا الانفصال يُشكّل أحد أهم أبعاد المفارقة الرمزية، إذ لا يتطابق ما يُرى مع ما يُعاش، ولا يُعبّر السطح عن العمق. فالذات قد تبدو متماسكة، لكنها في الواقع تعيش حالة من التفكك الداخلي الذي يتكرر دون أن يُلاحظ من الخارج. ويمكن أيضًا قراءة النص في ضوء السياق الاجتماعي، حيث تمثل "الريح" ضغوطًا أو تدخلات خارجية تفرض نفسها على حياة المرأة، رغم محاولتها الحفاظ على خصوصيتها أو استقلالها. فإغلاق الباب قد يُشير إلى محاولة الانعزال أو حماية الذات من هذه الضغوط، غير أن الواقع لا يسمح بهذا الانفصال الكامل، حيث تستمر هذه القوى في التسلل، والتأثير، وإعادة تشكيل الداخل. (ينظر: العتيبي، 2023: 134)

وفي هذا السياق، تصبح المفارقة أداة لكشف حدود السيطرة، حيث تبيّن أن ما يبدو خاضعًا للإرادة الفردية (مثل إغلاق الباب) لا يضمن بالضرورة تحقيق النتائج المرجوة. وهذا يُسلّط الضوء على تعقيد العلاقة بين الفرد والمجتمع، خاصة في التجربة النسوية، حيث تكون محاولات الاستقلال غالبًا محاطة بقيود غير مرئية. كما يُمكن ملاحظة أن النص يعتمد على اقتصاد لغوي واضح، حيث يستخدم عددًا محدودًا من الكلمات، لكنه يُنتج من خلالها دلالات واسعة. وهذا يُعزّز من الطابع الإيحائي للمفارقة، حيث لا يتم شرح المعنى بشكل مباشر، بل يُترك للقارئ مهمة استكشافه من خلال الربط بين العناصر. وهذا النوع من الكتابة يتطلب قارئًا فاعلًا، يشارك في إنتاج المعنى، وليس مجرد متلقٍ سلبي.

وتكمن قوة المفارقة الرمزية في هذا النص في قدرتها على التعبير عن حالة معقدة دون اللجوء إلى التصريح، حيث يتم تحويل التجربة النفسية والاجتماعية إلى مشهد بسيط، لكنه يحمل في طياته دلالات عميقة. فالريح، والباب، والهدوء، كلها عناصر تُستخدم لإنتاج معنى يتجاوز ظاهرها، ويُعبّر عن صراع داخلي مستمر بين الرغبة في الاستقرار، والواقع الذي يُعيق تحقيقه, وإن المفارقة الرمزية في هذا النص لا تقوم فقط على التناقض بين الفعل ونتيجته، بل تتجاوز ذلك إلى بناء رؤية نقدية للواقع، تُظهر أن ما يبدو بسيطًا أو طبيعيًا قد يخفي وراءه تعقيدات عميقة. كما تُبرز أن السيطرة على الخارج لا تعني بالضرورة السيطرة على الداخل، وأن الحدود التي نرسمها قد لا تكون كافية لحمايتنا من ما يتسلل بطرق غير متوقعة.

وهكذا، تُسهم المفارقة الرمزية في إضفاء بعد جمالي وفكري على النص، من خلال خلق فجوة بين الظاهر والباطن، وبين الرمز ودلالته، مما يجعل النص مفتوحًا على تأويلات متعددة، ويمنحه قدرة على التعبير عن التجربة النسوية بوصفها تجربة معقدة، تتداخل فيها الأبعاد النفسية والاجتماعية، وتُعبّر عن صراع مستمر بين الذات والعالم. (ينظر: عبد الرحمن، 2019: 52)

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن المفارقة تمثل أداة أسلوبية فاعلة في بناء النصوص النسوية، لما تحمله من قدرة على التعبير عن التوترات الكامنة في التجربة الإنسانية عمومًا، والتجربة النسوية على وجه الخصوص. فقد أسهمت المفارقة، بمختلف أنماطها، في الكشف عن التناقض بين الظاهر والمضمر، وبين الخطاب الاجتماعي والواقع الفعلي الذي تعيشه المرأة، مما منح النصوص عمقًا دلاليًا يتجاوز حدود المعنى المباشر.

وقد أظهر التحليل التطبيقي للنصوص أن المفارقة لا تُستخدم بوصفها زينة بلاغية، بل بوصفها أداة نقدية تكشف البنى الفكرية والاجتماعية التي تحكم الخطاب، وتعيد صياغتها بطريقة فنية غير مباشرة. كما برز دورها في إشراك القارئ في عملية التأويل، من خلال خلق فجوة دلالية تستدعي التفكير وإعادة القراءة. كما تبيّن أن تنوع أشكال المفارقة، بين التوضيحية والتناقضية والساخرة والرمزية، يتيح للكاتبة مساحة أوسع للتعبير عن القضايا النسوية، بأساليب تتراوح بين الوضوح النسبي والإيحاء العميق، وهو ما يعكس مرونة هذه التقنية وقدرتها على التكيف مع مختلف السياقات النصية، وإن المفارقة تسهم في تعزيز البعد الجمالي والفكري للنص النسوي، وتمنحه طاقة تعبيرية قادرة على تفكيك الواقع، والكشف عن تناقضاته، بطريقة فنية تجمع بين الإيحاء والنقد.

أهم النتائج

1. أظهرت الدراسة أن المفارقة تُعدّ عنصرًا أساسيًا في بناء النصوص النسوية، وليست مجرد أداة أسلوبية ثانوية.
2. تبيّن أن المفارقة تسهم في الكشف عن التناقض بين الخطاب الاجتماعي الذي يُمجّد المرأة، والواقع الذي يفرض عليها قيودًا متعددة.
3. أكدت التحليلات أن المفارقة التوضيحية تُستخدم لتقديم النقد بشكل واضح نسبيًا، من خلال الجمع بين المعنى الظاهري والدلالة الضمنية.
4. كشفت الدراسة أن المفارقة التناقضية تعبّر عن صراع داخلي عميق، من خلال الجمع بين مفاهيم متضادة مثل الحرية والطاعة.
5. أظهرت النتائج أن المفارقة الساخرة تعتمد على قلب المعنى، وتقديم الواقع السلبي في صورة إيجابية ظاهرية، بهدف نقده بطريقة تهكمية.

المصادر والمراجع

1.أبو النجا (2019). شيرين .النقد النسوي وإشكاليات الخطاب الأدبي العربي .القاهرة: دار العين للنشر.

2.أبو بكر، أميمة (2019). قراءات نسوية في التاريخ الثقافي العربي .القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة.

3.أحمد، هبة محمد (2021). الخطاب النسوي في الرواية العربية المعاصرة .القاهرة: دار الفكر العربي،.

4.البازعي، سعد (2019). النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية .بيروت: المركز الثقافي العربي.

5.بنمسعود، رشيدة (2018). المرأة والكتابة: سؤال الخصوصية في الأدب النسوي .الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

6.بو علي، نادية(2020). الكتابة النسوية العربية: قراءة في الخطاب السردي .عمان: دار فضاءات،.

7.الجبوري، حيدر عبد الكريم (2024). الخطاب النسوي في الشعر العربي الحديث .مجلة جامعة بغداد للعلوم الإنسانية.

8.الجراح، محمد عبد الله . (2022). الخطاب النسوي في النقد الأدبي العربي المعاصر . عمان: دار المسيرة.

9.حسين، لطيفة (2020). النقد النسوي في الأدب العربي المعاصر .القاهرة: دار العين، 2020.

10.الحمادي، ليلى (2021). النسوية العربية المعاصرة: إشكالات النظرية والتطبيق . عمان: دار المسيرة.

11.الخزرجي، سعاد عبد الله (2019). الشعر النسوي العربي المعاصر: قراءة في البنية والدلالة .بغداد: دار الشؤون الثقافية.

12.خليل، أحمد محمد (2020). الأدب النسوي العربي: المفهوم والتطور .مجلة دراسات أدبية، الجزائر.

13.الزيدي، علي حسن (2023). إشكالية الجندر في النقد الأدبي العربي الحديث .بغداد: دار الشؤون الثقافية.

14.السالمي، فاطمة الزهراء (2023). تحولات الخطاب النسوي في السرد العربي المعاصر .الرباط: دار الأمان.

15.الضوي، محمد الضوي (2024). أيديولوجية الخطاب النسوي في الرواية العربية المعاصرة .مجلة الآداب، جامعة القاهرة.

16.عبد الرحمن، مريم (2019). الكتابة النسوية بين النظرية والتطبيق .القاهرة: دار الفكر العربي،.

17.عبد العزيز، (2022). إيمان .تمثلات صورة الرجل في الكتابة النسائية .مجلة الجوبة، السعودية،.

18.عبد الله، إبراهيم (2021). الخطاب النسوي في الرواية العربية الحديثة .عمان: دار كنوز المعرفة.

19.العتيبي، خالد (2023). المرأة في السرد العربي المعاصر: دراسة نقدية .الرياض: دار جامعة الملك سعود.

20.العزاوي، فاطمة (2019). تحولات الخطاب النسوي في الأدب العربي .بغداد: دار الشؤون الثقافية،.

21.العنزي، سامية (2019). مفهوم الفكر النسوي في العالم الغربي والعربي .مجلة باحثات.

22.القطامي، محمد (2019). النقد النسوي وإشكالية المصطلح في النقد العربي .مجلة إشراقات تنموية.

23.القيرواني، آمال (2020). الأدب النسوي: المفهوم والتطور .مجلة دراسات أدبية، الجزائر.

24.كمال، هالة (2019). النقد الأدبي النسوي: إشكالات القراءة والتأويل .القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة.

25.محمود، زينب محمد (2022). الخطاب النسوي وتحليل النص الأدبي .القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

26.مرسال، إيمان (2021). في أثر عنايات الزيات: سيرة ذاتية للنص النسوي .القاهرة: دار الكتب خان.

27.نجمي، محمد (2018). النقد النسوي وتحليل الخطاب الأدبي .الرباط: دار توبقال، 2018.

28.النعيمي، خالد.(2010). تمثيلات المرأة في الرواية العربية الحديثة .بيروت: دار النهضة العربية.

29.الهاشمي (2022)، سارة عبد الله .النقد النسوي وتحليل الخطاب الثقافي .عمان: دار المسيرة.

30.يوسف، عبد الله.(2019). المرأة في الأدب العربي الحديث .القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

References

1.Abdul Aziz, (2022). Iman. Representations of the Image of Man in Women's Writing. Al-Jawba Journal, Saudi Arabia.

2.Abdul Rahman, Maryam (2019). Feminist Writing Between Theory and Practice. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

3.Abdullah, Ibrahim (2021). Feminist Discourse in the Modern Arabic Novel. Amman: Dar Kunooz Al-Ma'rifa.

4.Abu al-Naja (2019). Shirin. Feminist Criticism and the Problems of Arab Literary Discourse. Cairo: Dar al-Ain Publishing.

5.Abu Bakr, Umayma (2019). Feminist Readings in Arab Cultural History. Cairo: Women and Memory Foundation.

6.Ahmed, Heba Muhammad (2021). Feminist Discourse in the Contemporary Arab Novel. Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.

7.Al-Anzi, Samia (2019). The Concept of Feminist Thought in the Western and Arab Worlds. Bahethat Journal.

8.Al-Azzawi, Fatima (2019). Transformations of Feminist Discourse in Arabic Literature. Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya.

9.Al-Bazai, Saad (2019). Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Patterns. Beirut: Arab Cultural Center.

10.Al-Dawi, Muhammad Al-Dawi (2024). The Ideology of Feminist Discourse in the Contemporary Arab Novel. Journal of Arts, Cairo University.

11. Al-Hammadi, Laila (2021). Contemporary Arab Feminism: Problems of Theory and Practice. Amman: Dar Al-Masirah.
12. Al-Hashemi (2022), Sarah Abdullah. Feminist Criticism and the Analysis of Cultural Discourse. Amman: Dar al-Masirah.
13. Al-Jarrah, Muhammad Abdullah (2022). Feminist Discourse in Contemporary Arab Literary Criticism. Amman: Dar al-Masirah.
14. Al-Jubouri, Haider Abdul Karim (2024). Feminist Discourse in Modern Arabic Poetry. Baghdad University Journal of Humanities.
15. Al-Khazraji, Suad Abdullah (2019). Contemporary Arab Feminist Poetry: A Reading in Structure and Meaning. Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya.
16. Al-Nuaimi, Khalid (2010). Representations of Women in the Modern Arabic Novel. Beirut: Dar al-Nahda al-Arabiya.
17. Al-Otaibi, Khalid (2023). Women in Contemporary Arabic Narrative: A Critical Study. Riyadh: King Saud University Press.
18. Al-Qatami, Muhammad (2019). Feminist Criticism and the Problematic Nature of Terminology in Arabic Criticism. Ishraqat Tanmawiya Journal.
19. Al-Qayrawani, Amal (2020). Feminist Literature: Concept and Development. Dirasat Adabiyya Journal, Algeria.
20. Al-Salmi, Fatima Al-Zahra (2023). Transformations of Feminist Discourse in Contemporary Arab Narrative. Rabat: Dar Al-Aman.
21. Al-Zaydi, Ali Hassan (2023). The Problem of Gender in Modern Arab Literary Criticism. Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya.
22. Benmessaoud, Rachida (2018). Women and Writing: The Question of Privacy in Feminist Literature. Casablanca: Africa al-Sharq.
23. Bou Ali, Nadia (2020). Arab Feminist Writing: A Reading of Narrative Discourse. Amman: Dar Fadaat.
24. Hussein, Latifa (2020). Feminist Criticism in Contemporary Arabic Literature. Cairo: Dar Al-Ain, 2020.
25. Kamal, Hala (2019). Feminist Literary Criticism: Problems of Reading and Interpretation. Cairo: Women and Memory Foundation.

26.Khalil, Ahmed Muhammad (2020). Arab Feminist Literature: Concept and Development. Journal of Literary Studies, Algeria.
27.Mahmoud, Zainab Muhammad (2022). Feminist Discourse and the Analysis of Literary Texts. Cairo: University Knowledge House.
28.Mersal, Iman (2021). In the Footsteps of Enayat al-Zayyat: An Autobiography of Feminist Texts. Cairo: Dar al-Kutub Khan.
29.Najmi, Muhammad (2018). Feminist Criticism and the Analysis of Literary Discourse. Rabat: Dar Toubkal, 2018.
30.Youssef, Abdullah (2019). Women in Modern Arabic Literature. Cairo: University Knowledge House.

المقدمة